تفسير ابن كثير

يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل ا من آمن به : { والذين يحاجون في ا من بعد ما استجيب له } أي يجادلون المؤمنين المستجيبين ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى { حجتهم داحضة عند ربهم } أي باطلة عند ا { وعليهم غضب } أي منه { ولهم عذاب شديد } أي يوم القيامة قال ابن عباس Bه ومجاهد : جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا أن تعود الجاهلية وقال قتادة : هم اليهود والنصارى قالوا : ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى با منكم وقد كذبوا في ذلك ثم قال تعالى : { ا الذي أنزل الكتاب بالحق } يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه { والميزان } وهو العدل والإنصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى : { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط } وقوله : { والسماء رفعها ووضع الميزان * أن لا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان } .

وقوله تبارك وتعالى : { وما يدريك لعل الساعة قريب } فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا وقوله D : { يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها } أي : يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا وعنادا { والذين آمنوا مشفقون منها } أي خائفون وجلون من وقوعها { ويعلمون أنها الحق } أي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه أن رجلا سأل رسول ا صلى ا عليه وسلّم بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال : يا محمد فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلّم نحوا من صوته : [هاؤم] فقال له : متى الساعة ؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟] فقال : حب ا ورسوله فقال صلى ا عليه وسلّم : [أنت مع من أحببت] فقوله في الحديث [المرء مع من أحب] هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها وقوله تعالى : { ألا إن الذين يمارون في الساعة } أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها { لفي ضلال بعيد } أي في جهل بين لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى كما قال تعالى : { وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه }